

متن العقيدة السنوسية

المسماه أمّ البراهين

تأليف

الإمام محمد بن يوسف السنوسي الحسني - رحمه الله تعالى ونفعنا به وبعلومه

ترجمة صاحب متن السنوسية

مأخوذة عن الأستاذ سعيد عبداللطيف فودة (تهذيب شرح السنوسية - أمّ البراهين) ص15-19:

اسمه ونسبه :

هو الإمام محمد بن يوسف بن عمر بن شعيب السنوسي، وبلقب السنوسي اشتهر، نسبة لقبيلة بالمغرب، ويلقب أيضا بالحسني نسبة للحسن بن علي أبي طالب من جهة أم أبيه .

وهو تلمساني أيضا نسبة إلى بلدة تلمسان .

وهو عالم تلمسان وصالحها وزاهدها وكبير علمائها الشيخ العلامة المتقن الصالح الزاهد العابد الأستاذ المحقق الخاشع أبو يعقوب يوسف.

كان مولده بعد الثلاثين وثمانمائة.

مشايخه ودرسته :

نشأ الإمام السنوسي خيرا مباركا فاضلا صالحا .

أخذ عن جماعة منهم، والده المذكور، والشيخ العلامة نصر الزواوي والعلامة محمد بن توزت، والسيد الريف أبو الحجاج يوسف بن أبي العباس بن محمد الشريف الحسني، وقد أخذ عنه القراءات، وعن العالم المعدل أبي عبد الله الحباب علم الاضطراب، وعن الإمام محمد العباس الأصول والمنطق، وعن الفقيه الجلاب الفقه وعن الولي الكبير الصالح الحسن أركان الراشدي حضر عنده كثيرا وانتفع به وببركته، وكان يحبه ويؤثره ويدعو له، فحقق الله فيه فراسته ودعوته.

وعن الفقيه الحافظ أبي الحسن التالوتي أخيه لأمه الرسالة، وعن الإمام الورع الصالح أبي القاسم الكناشي إرشاد أبي المعالي

والتوحيد هن الإمام الحجة الورع الصالح أبي زيد الثعالبي الصحيحين وغيرهما من كتب الحديث، وأجازه ما يجوز له. وعنه وعن

الإمام العالم العلامة الولي الزاهد الناصح إبراهيم التازي ألبسه الخرقه وحدثه بها عن شيوخه، وروى عنه أشياء كثيرة من

المسلسلات وغيرها

وعن العالم الأجل الصالح أبي الحسن القلصادي الأندلسي الفرائض والحساب. وأجازه جميع ما يرويه. وغيرهم .

وكان آية في علمه وهديه وصلاحه وسيرته وزهده وورعه وتوقيه.

مكانته العلمية وسيرته :

له في العلوم الظاهرة أوفي نصيب، جمع من فروعها وأصولها السهم والتعصيب، لا يتحدث في فن إلا ظن سامعه أنه لا يحسن غيره سيما التوحيد والمعقول، شارك فيها غيره وانفرد بعلوم الباطن بل زاد على الفقهاء مع معرفة حل المشكلات سيما التوحيد.

كان لا يقرأ علم الظاهر إلا خرج منه لعلوم الآخرة سيما التفسير والحديث لكثرة مراقبته لله تعالى كأنه يشاهد الآخرة .

قال تلميذه الملالي: « سمعته يقول:

ليس من علم من علوم الظاهر يورث معرفته تعالى ومراقبته إلا التوحيد، وبه يفتح في فهم العلوم كلها، وعلى قدر معرفته يزداد

خوفه » اهـ .

وانفرد بمعرفته التوحيد إلى الغاية، وكتبه التي ألفها في العقائد كافيها خصوصا الصغرى « أم البراهين » لا يعادلها شيء من العقائد.

وكان حليفا كثير الصبر ربما يسمع ما يكره فيتعامى عنه ولا يؤثر فيه، بل يبتسم وهذا شأنه في كل ما يغضبه، ولا يلقي له بالا بوجه،

ولا يحقد على أحد، ولا يعيب في وجه أحد. يفتح من تكلم في عرضه بكلام طيب وإعظام حتى يعتقد أنه صديقه.

قال الملالي تلميذه. سمعته يقول:

«ينبغي للإنسان أن يمشي برفق وينظر أمامه لئلا يقتل دابة في الأرض.»

وإذا رأى من يضرب دابة ضربا عنيفا تغير وقال لضاربيها:

«أرفق يا مبارك.»

وينهي المؤدبين عن ضرب الصبيان.

قال الماللي: وسمعتة يقول:

«الله تعالى مائة رحمة لا مطمع فيها إلا لمن اتسم برحمة جميع الخلق وأشفق عليهم.»

وفاته:

ولما أحس بمرض موته انقطع عن المسجد ولازم فراشه، حتى مات، ومرض عشرة أيام ولما احتضر لقنه ابن أخيه مرة بعد مرة،

فالتفت إليه وقال له:

«وهل ثم غيرها.»

وقالت له بنته:

«تمشي وتتركني.» !

فقال لها:

«الجنة مجمعنا عن قرب إن شاء الله تعالى.»

وكان يقول عند موته:

«نسأله سبحانه أن يجعلنا وأحببتنا عند الموت ناطقين بالشهادة عالمين بها.»

وتوفي يوم الأحد ثامن عشر جمادى الآخرة عام خمس وتسعين وثمانمائة. وشم الناس المسك بنفس موته رحمه الله.

قال تلميذه الماللي:

«وأخبرني قبل موته بنحو عامين أن سنه خمس وخمسون سنة.» ق

ال التنبكتي في « نيل الابتهاج :»

ورأيت مقيدا عن بعض العلماء أنه سأل الماللي المذكور عن سن الشيخ، فقال له: مات عن ثلاث وستين سنة

والله أعلم.

كتبه ومؤلفاته:

وأما تأليفه، فقال الماللي:

منها شرحه الكبير على الحوفية المسمى المقرب المستوفي، كبير الجرم كثير العلم، ألفه وهو ابن تسعة عشر عاما، ولما وقف عليه شيخه الحسن أبران، تعجب منه وأمره بإخفائه حتى يكمل سنه أربعين سنة لئلا يصاب بالعين، ويقول له: لا نظير له فيما أعلم ودعا لمؤلفه.

وعقيدته الكبرى سماها عقيدة أهل التوحيد في كراريس من القالب الرباعي أول ما صنفه في الفن، ثم شرحها، ثم الوسطى وشرحها في ثلاثة عشر كراسا.

قلت: وهذه العقيدة عليها شرح جيد للشيخ عليش، وعلى شرح السنوسي لها حاشية جلييلة القدر للشيخ يس.

ثم الصغرى () وشرحها في ست كراريس وهي من أجل العقائد، لا تعادلها عقيدة، كما أشار إليه هو في شرحه عليها، قال الشيخ:

«لا نظير لها فيما علمت تكفي من اقتصر عليها عن سائر العقائد.»

أقول الحق ما قاله، فإن كل من قرأ هذا المتن انتفع بما فيه، واهتدى إلى الحق الصريح، في أقل زمان.

وعقيدته المختصرة أصغر من الصغرى وشرحها في أربع كراريس، وفيه فوائد ونكت. والمقدمات المبينة لعقيدته الصغرى، قريبة منها جرما وشرحها في خمس كراريس .

وشرح الأسماء الحسنى في كراسين، يفسر الاسم، ويذكر حظ العبد منه .

وشرح التسبيح دبر الصلوات، تكلم على حكمته.

وشرح عقيدة الحوضي، خمس كراريس .

وشرحه الكبير على الجزيرية ()، فيه نكت نفيسة .

ومختصراً لصحيح مسلم في سفرين فيه نكت حسنة .
وله شرح على صحيح مسلم اسمه « مكمل إكمال الإكمال» .
وشرح إيساغوجي في المنطق تأليف البرهان البقاعي كثير العلم. ومختصره العجيب فيه زائد على الخونجي، وشرحه حسن جداً .
ومن المعلوم أن متن الخونجي من أدق كتب علم المنطق. وعلى شرح متن السنوسي حاشية جلييلة لليجوري.
وشرح قصيدة الحباك في الاضطراب، شرح جليل .
وشرح أبيات الإمام الاليري في التصوف .
وشرح الأبيات التي أولها « تطهر بماء الغيب» .
وشرحه العجيب على البخاري، وصل فيه إلى باب من استبرأ لدينه .
وشرح مشكلات البخاري في كراسين.
ومختصر الزركشي على البخاري.
قال التنبكتي في نيل الابتهاج: « وقد وقفت على جميع هذه الكتب» .
ثم قال الملالي: ومنها عقيدة أخرى فيها دلالات قطعية يرد على من أثبت تأثير الأسباب العادية كتبها لبعض الصالحين، ومختصر التفتازاني على الكشاف، وشرح مقدمة الجبر والمقابلة لابن ياسمين.
وشرح جمل الخونجي في المنطق، وشرح مختصر ابن عرفة وفيه حل لصعوبته، وقال لي :
«إن كلامه صعب سيما هذا المختصر، تعبت كثيراً في حله لصعوبته إلى الغاية، لا أستعين عليه إلا بالخلوة.»
ومنها شرح رجز ابن سينا في الطب، لم يكمل .
ومختصر في القراءات السبع.
وشرح الشاطبية الكبرى لم يكمل .
وشرح الوغليسية في الفقه لم يكمل.
ونظم في الفرائض.
واختصار رعاية المحاسبي .
ومختصر الروض الأنف للسهيلي لم يكمل .
ومختصر بغية السالك في أشرف المسالك للساحلي .
وشرح المرشدة والدر المنظوم في شرح الأجرومية.
وشرح جواهر العلوم للعضد في علم الكلام على طريقة الحكماء وهو كتاب عجيب جداً في ذلك إلا أنه صعب متعسر على الفهم جداً.
ومنها تفسير القرآن إلى قوله وأولئك هم المفلحون، في ثلاثة كراريس، ولم يمكن له التفرغ له .
وتفسير سورة « ص » وما بعدها.
قال الملالي: فهذا ما علمت من تأليفه مع ما له من الفتاوى والوصايا والرسائل والمواظ مع كثرة الأوراد وقضاء الحوائج والإقراء اهـ.
قال التنبكتي: سمعت أن له تعليقا على فرعي ابن الحاجب، نفعنا الله به.
تلاميذه :
أخذ عنه أعلام، كابن سعد، أبي القاسم الزواوي وابن أبي مدين والشيخ يحيى بن محمد وابن الحاج البيدي، وابن العباس الصغير،
وولي الله محمد القلعي وريحانة زمانه، وإبراهيم الجديجي، وابن ملوكة وغيرهم من الفضلاء.
وبعد فهذه نبذة من سيرة هذا الإمام العطرة، وقطعة من أحواله، ولا شك أنها غير وافية بالمقصد، ولكن قد ذكر التنبكتي أن تلميذه
الملالي جمع في سيرته وأحواله وفوائده تأليفاً كبيراً في نحو ستة عشر كراساً من القالب الكبير، وقال إنه اختصره في جزء في نحو
ثلاثة كراريس، وما ذكره في كتابه نيل الابتهاج إنما هو طرف منه.
ونحن لم نذكر جميع ما ذكره في نيل الابتهاج، بل اختصرناه أيضاً.
نفعنا الله تعالى به وعلومه آمين . ()

متن أم البراهين

المسمى

بالعقيدة السنوسية الصغرى

للاإمام

أبي عبد الله محمد بن يوسف السنوسي الحسني

رحمه الله تعالى ونفعنا به وبعلمه

أمين

ضبطت على نسخة الحلبي ونسخة الأستاذ سعيد فودة

بسم الله الرحمن الرحيم

الْحَمْدُ لِلَّهِ .

وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ .

أَعْلَمُ أَنَّ الْحُكْمَ الْعَقْلِيَّ يَنْحَصِرُ فِي ثَلَاثَةِ أَقْسَامٍ: الْوُجُوبِ، وَالْإِسْتِحَالَةِ، وَالْجَوَازِ .

فَالْوُجُوبُ: مَا لَا يُتَصَوَّرُ فِي الْعَقْلِ عَدْمُهُ .

وَالْمُسْتَحِيلُ: مَا لَا يُتَصَوَّرُ فِي الْعَقْلِ وُجُودُهُ .

وَالْجَائِزُ: مَا يَصِحُّ فِي الْعَقْلِ وَجُودُهُ وَعَدْمُهُ .

وَيَجِبُ عَلَى كُلِّ مُكَلَّفٍ شَرْعًا أَنْ يَعْرِفَ مَا يَجِبُ فِي حَقِّ مَوْلَانَا جَلَّ وَعَزَّ، وَمَا يَسْتَحِلُّ، وَمَا يَجُوزُ .

وَكَذَا يَجِبُ عَلَيْهِ أَنْ يَعْرِفَ مِثْلَ ذَلِكَ فِي حَقِّ الرُّسُلِ عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ .

فِمِمَّا يَجِبُ لِمَوْلَانَا جَلَّ وَعَزَّ عَشْرُونَ صِفَةً، وَهِيَ :

الْوُجُودُ .

وَالْقَدَمُ .

وَالْبِقَاءُ .

وَمُخَالَفَتُهُ تَعَالَى لِلْحَوَادِثِ .

وَقِيَامُهُ تَعَالَى بِنَفْسِهِ: أَيَّ لَا يَفْتَقِرُ إِلَى مَحَلٍّ، وَلَا مُخَصَّصٍ .

وَالْوَحْدَانِيَّةُ: أَيُّ لَا ثَانِيَ لَهُ فِي دَاتِهِ، وَلَا فِي صِفَاتِهِ، وَلَا فِي أَعْمَالِهِ .

فَهَذِهِ سِتُّ صِفَاتٍ :

الأولى نَفْسِيَّةٌ، وَهِيَ: الْوُجُودُ .

وَالْخَمْسَةُ بَعْدَهَا سَلْبِيَّةٌ .

ثُمَّ يَجِبُ لَهُ تَعَالَى سَبْعُ صِفَاتٍ، تُسَمَّى صِفَاتِ الْمَعَانِي، وَهِيَ :

الْقُدْرَةُ، وَالْإِرَادَةُ: الْمُتَعَلِّقَانِ بِجَمِيعِ الْمُمَكِّنَاتِ .

وَالْعِلْمُ الْمُتَعَلِّقُ بِجَمِيعِ الْوَاجِبَاتِ، وَالْجَائِزَاتِ، وَالْمُسْتَحِيلَاتِ .

وَالْحَيَاةُ، وَهِيَ: لَا تَتَعَلَّقُ بِشَيْءٍ .

وَالسَّمْعُ وَالْبَصَرُ: الْمُتَعَلِّقَانِ بِجَمِيعِ الْمُوَجِّدَاتِ .

وَالكَلَامُ: الَّذِي لَيْسَ بِحَرْفٍ، وَلَا صَوْتٍ، وَيَتَعَلَّقُ بِمَا يَتَعَلَّقُ بِهِ الْعِلْمُ مِنَ الْمُتَعَلِّقَاتِ .

ثُمَّ سَبَعُ صِفَاتٍ، تُسَمَّى صِفَاتٍ مَعْنَوِيَّةً، وَهِيَ: مُلَازِمَةٌ لِلسَّبْعِ الْأُولَى، وَهِيَ: كَوْنُهُ تَعَالَى: قَادِرًا، وَمُرِيدًا. وَعَالِمًا وَحَيًّا، وَسَمِيعًا، وَبَصِيرًا، وَمُنْكَلَمًا .
وَمِمَّا يَسْتَحِيلُ فِي حَقِّهِ تَعَالَى عِشْرُونَ صِفَةً، وَهِيَ أَضْدَادُ الْعِشْرِينَ الْأُولَى، وَهِيَ: الْعَدَمُ .
وَالْحُدُوثُ .
وَطُرُقُ الْعَدَمِ .

وَالْمُمَاتِلَةُ لِلْحَوَادِثِ: بِأَنْ يَكُونَ جِزْمًا: أَي تَأْخُذُ ذَاتَهُ الْعَلِيَّةُ قَدْرًا مِنَ الْفَرَاغِ. أَوْ يَكُونَ عَرَضًا يَقُومُ بِالْجِزْمِ، أَوْ يَكُونَ فِي جِهَةِ الْجِزْمِ، أَوْ لَهُ هُوَ جِهَةٌ، أَوْ يَتَّقِدُ بِمَكَانٍ، أَوْ زَمَانٍ، أَوْ تَتَّصِفَ ذَاتُهُ الْعَلِيَّةُ بِالْحَوَادِثِ، أَوْ يَتَّصِفَ بِالصَّغَرِ، أَوْ الْكِبَرِ، أَوْ يَتَّصِفَ بِالْأَعْرَاضِ فِي الْأَفْعَالِ أَوْ الْأَحْكَامِ .

وَكَذَا يَسْتَحِيلُ عَلَيْهِ تَعَالَى أَنْ لَا يَكُونَ قَائِمًا بِنَفْسِهِ، بِأَنْ يَكُونَ صِفَةً يَقُومُ بِمَحَلِّ، أَوْ يَحْتَاجُ إِلَى مُخَصَّصٍ .
وَكَذَا يَسْتَحِيلُ عَلَيْهِ تَعَالَى أَنْ لَا يَكُونَ وَاحِدًا بِأَنْ يَكُونَ مُرَكَّبًا فِي ذَاتِهِ، أَوْ يَكُونَ لَهُ مُمَاتِلٌ فِي ذَاتِهِ، أَوْ صِفَاتِهِ، أَوْ يَكُونَ مَعَهُ فِي الوجودِ مُؤَثَّرٌ فِي فِعْلٍ مِنَ الْأَفْعَالِ .
وَكَذَا يَسْتَحِيلُ عَلَيْهِ تَعَالَى الْعَجْزُ عَنْ مَمْكِنٍ مَّا، وَإِبْجَادُ شَيْءٍ مِنَ الْعَالَمِ مَعَ كَرَاهِيَتِهِ لِوُجُودِهِ. أَي عَدَمِ إِرَادَتِهِ لَهُ تَعَالَى أَوْ مَعَ الذُّهُولِ، أَوْ الْعَقْلَةِ، أَوْ بِالتَّعْلِيلِ، أَوْ بِالتَّطَبُّعِ .
وَكَذَا يَسْتَحِيلُ عَلَيْهِ تَعَالَى الْجَهْلُ وَمَا فِي مَعْنَاهُ بِمَعْلُومٍ مَّا، وَالْمَوْتُ، وَالصَّمَمُ، وَالْعَمَى وَالْبُكْمُ .
وَأَضْدَادُ الصِّفَاتِ الْمَعْنَوِيَّةِ وَاضِحَةٌ مِنْ هَذِهِ .
وَأَمَّا الْجَائِزُ فِي حَقِّهِ تَعَالَى: فَفِعْلٌ كُلٌّ مَمْكِنٌ أَوْ تَرْكُهُ .

أَمَّا بُرْهَانُ وَجُودِهِ تَعَالَى: فَحُدُوثُ الْعَالَمِ، لِأَنَّهُ لَوْ لَمْ يَكُنْ لَهُ مُحْدِثٌ بَلْ حَدَثَ بِنَفْسِهِ لَزِمَ أَنْ يَكُونَ أَحَدُ الْأَمْرَيْنِ الْمُتَسَاوَيْنَيْنِ مُسَاوِيًا لِصَاحِبِهِ رَاجِحًا عَلَيْهِ بِلا سَبَبٍ وَهُوَ مُحَالٌ .
وَدَلِيلُ حُدُوثِ الْعَالَمِ مُلَازِمَتُهُ لِلْأَعْرَاضِ الْحَادِثَةِ مِنْ: حَرَكَةٍ، أَوْ سُكُونٍ أَوْ غَيْرِهِمَا، وَمُلَازِمَةُ الْحَادِثِ حَدِثٌ .
وَدَلِيلُ حُدُوثِ الْأَعْرَاضِ مُشَاهَدَةُ تَغْيِيرِهَا مِنْ عَدَمٍ إِلَى وَجُودٍ، وَمِنْ وَجُودٍ إِلَى عَدَمٍ .
وَأَمَّا بُرْهَانُ وَجُوبِ الْقَدَمِ لَهُ تَعَالَى: فَلِأَنَّهُ لَوْ يَكُنْ قَدِيمًا، لَكَانَ حَادِثًا فَيَفْقِرُ إِلَى مُحْدِثٍ، فَيَلْزِمُ الدَّوْرُ، أَوْ التَّسْلُسُ .
وَأَمَّا بُرْهَانُ وَجُوبِ الْبَقَاءِ لَهُ تَعَالَى، فَلِأَنَّهُ لَوْ امْكُنْ أَنْ يَلْحَقَهُ الْعَدَمُ، لِأَنَّهُ لَوْ كَوْنُ وَجُودِهِ جَيِّنِيذٌ جَائِزًا لَا وَاجِبًا، وَالْجَائِزُ لَا يَكُونُ وَجُودُهُ إِلَّا حَادِثًا، كَيْفَ! وَقَدْ سَبَقَ قَرِيبًا وَجُوبُ قَدَمِهِ تَعَالَى وَبَقَائِهِ .
وَأَمَّا بُرْهَانُ وَجُوبِ مُخَالَفَتِهِ تَعَالَى لِلْحَوَادِثِ: فَلِأَنَّهُ لَوْ مَاتَلْ شَيْئًا مِنْهَا، لَكَانَ حَادِثًا مِثْلَهَا، وَذَلِكَ مُحَالٌ لِمَا عَرَفْتُمْ قَبْلُ مِنْ وَجُوبِ قَدَمِهِ تَعَالَى وَبَقَائِهِ .

وَأَمَّا بُرْهَانُ وَجُوبِ الْوَحْدَانِيَّةِ لَهُ تَعَالَى: فَلِأَنَّهُ لَوْ لَمْ يَكُنْ وَاحِدًا لَزِمَ أَنْ لَا يُوجَدَ شَيْءٌ مِنَ الْعَالَمِ لِلزُّومِ عَجْزِهِ جَيِّنِيذٌ .
وَأَمَّا بُرْهَانُ وَجُوبِ اتِّصَافِهِ تَعَالَى بِالْقُدْرَةِ وَالْإِرَادَةِ وَالْعِلْمِ وَالْحَيَاةِ: فَلِأَنَّهُ لَوْ انْتَفَى شَيْءٌ مِنْهَا لَمَا وَجَدَ شَيْءٌ مِنَ الْحَوَادِثِ .
وَأَمَّا بُرْهَانُ وَجُوبِ السَّمْعِ لَهُ تَعَالَى وَالْبَصَرِ وَالْكَلامِ: فَالْكِتَابُ وَالسُّنَّةُ وَالْإِجْمَاعُ، وَأَيْضًا لَوْ لَمْ يَتَّصِفْ بِهَا لَزِمَ أَنْ يَتَّصِفَ بِأَضْدَادِهَا، وَهِيَ نَقَائِصُ، وَالنَّقْصُ عَلَيْهِ تَعَالَى مُحَالٌ .
وَأَمَّا بُرْهَانُ كَوْنِ فِعْلِ الْمُمْكِنَاتِ أَوْ تَرْكِهَا حَائِزًا فِي حَقِّهِ تَعَالَى: فَلِأَنَّهُ لَوْ وَجَبَ عَلَيْهِ تَعَالَى شَيْءٌ مِنْهَا عَقْلًا، أَوْ اسْتِحَالَ عَقْلًا لَا نُقَلَبَ الْمَمْكِنُ وَاجِبًا أَوْ مُسْتَحِيلًا، وَذَلِكَ لَا يُعْقَلُ .

وَأَمَّا الرُّسُلُ عَلَيْهِمُ وَالسَّلَامُ :

فَيَجِبُ فِي حَقِّهِمُ: الصُّدُقُ وَالْأَمَانَةُ وَتَبْلِيغُ مَا أُمِرُوا بِتَبْلِيغِهِ لِلخَلْقِ .

وَيَسْتَجِبُ فِي حَقِّهِمُ عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ أَضْدَادُ هَذِهِ الصِّفَاتِ، وَهِيَ: الكَذِبُ وَالخِيَانَةُ بِفِعْلِ شَيْءٍ مِمَّا نُهَى تَحْرِيمٌ أَوْ كَرَاهَةٌ، أَوْ كِتْمَانُ شَيْءٍ مِمَّا أُمِرُوا بِتَبْلِيغِهِ لِلخَلْقِ .

وَيَجُوزُ فِي حَقِّهِمُ عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ مَا هُوَ مِنَ الْأَعْرَاضِ الْبَشَرِيَّةِ الَّتِي لَا تُؤَدِّي إِلَى نَقْصِ فِي مَرَاتِبِهِمُ الْعَلِيَّةِ ؛ كَالْمَرَضِ وَنَحْوِهِ .

أَمَّا بَرَهَانُ وَجُوبِ صِدْقِهِمْ عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: فَلأنَّهُمْ لَوْ لَمْ يَصْدُقُوا لَلَزِمَ الكَذِبُ فِي خَيْرِهِ تَعَالَى لِتَصْدِيقِهِ تَعَالَى لَهُمْ بِالْمُعْجَزَةِ النَّازِلَةِ مِنْزَلَةً قَوْلِهِ تَعَالَى: صَدَقَ عِبْدِي فِي كُلِّ مَا يُبْلَغُ عَنِّي .

وَأَمَّا بَرَهَانُ وَجُوبِ الْأَمَانَةِ لَهُمْ عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: فَلأنَّهُمْ لَوْ خَانُوا بِفِعْلِ مُحْرَمٍ، أَوْ مَكْرُوهٍ، لَا نَقَلَبَ الْمُحْرَمَ، أَوْ الْمَكْرُوهَ طَاعَةً فِي حَقِّهِمْ، لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَمَرَنَا بِالِاقْتِدَاءِ بِهِمْ فِي أَقْوَالِهِمْ وَأَفْعَالِهِمْ، وَلَا يَأْمُرُ اللَّهُ تَعَالَى بِفِعْلِ مُحْرَمٍ وَلَا مَكْرُوهٍ. وَهَذَا يَعْينُهُ هُوَ بَرَهَانُ وَجُوبِ التَّالِبِ .

وَأَمَّا دَلِيلُ جَوَازِ الْأَعْرَاضِ الْبَشَرِيَّةِ عَلَيْهِمْ: فَمَشَاهِدَةٌ وَفُوعَةٌ بِهِمْ: إمَّا لِتَعْظِيمِ أَجْرِهِمْ أَوْ لِتَشْرِيحِ أَوْ لِلتَّسْلِيِ عَنِ الدُّنْيَا، أَوْ لِتَشْبِيهِ لِخِصَّةِ قَدْرِهَا عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى، وَعَدَمِ رِضَاهِ بِهَا دَارَ جَزَاءٍ لِأَنْبِيَائِهِ وَأَوْلِيَائِهِ بِاعْتِبَارِ أَحْوَالِهِمْ فِيهَا عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ .

وَيَجْمَعُ مَعَانِي هَذِهِ الْعَقَائِدِ كُلِّهَا قَوْلُ :

لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ

إِذْ مَعْنَى الْأَلُوْهِيَّةِ: اسْتِغْنَاءُ الْإِلَهِ عَنِ كُلِّ مَا سِوَاهُ، وَافْتِقَارُ كُلِّ مَا عَدَاهُ إِلَيْهِ .

فَمَعْنَى لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ: لَا مُسْتَعْنَى عَنِ كُلِّ مَا سِوَاهُ، وَمُفْتَقِرًا إِلَيْهِ كُلُّ مَا عَدَاهُ إِلَّا اللَّهُ تَعَالَى .

أَمَّا اسْتِغْنَاءُوهُ جَلَّ وَعَزَّ عَنِ كُلِّ مَا سِوَاهُ، فَهُوَ يُوجِبُ لَهُ تَعَالَى: الْوُجُودَ، وَالْقُدَمَ، وَالْبَقَاءَ، وَالْمُخَالَفَةَ لِلْحَوَادِثِ، وَالْقِيَامَ بِالنَّفْسِ، وَالتَّنَزُّهَ عَنِ النَّقَائِصِ .

وَيَدْخُلُ فِي ذَلِكَ وَجُوبُ السَّمْعِ لَهُ تَعَالَى وَالبَصَرِ وَالكَلَامِ، إِذْ لَوْ لَمْ تَجِبْ لَهُ هَذِهِ الصِّفَاتُ لَكَانَ مُحْتَاجًا إِلَى الْمُحْدِثِ، أَوْ المَحَلِّ، أَوْ مَنْ يَدْفَعُ عَنْهُ النَّقَائِصَ .

وَيُؤَخِّدُ مِنْهُ: تَنَزُّهُهُ تَعَالَى عَنِ الْأَعْرَاضِ فِي أَفْعَالِهِ وَأَحْكَامِهِ، وَإِلَّا لَزِمَ افْتِقَارُهُ إِلَى مَا يُحْصِلُ غَرَضَهُ، كَيْفَ! وَهُوَ جَلَّ وَعَزَّ الْعَنِيُّ عَنِ كُلِّ مَا سِوَاهُ .

وَيُؤَخِّدُ مِنْهُ أَيْضًا: أَنَّهُ لَا يَجِبُ عَلَيْهِ تَعَالَى فِعْلُ شَيْءٍ مِنَ الْمُمَكِّنَاتِ عَقْلًا وَلَا تَرْكُهُ، إِذْ لَوْ وَجَبَ عَلَيْهِ تَعَالَى شَيْءٌ مِنْهَا عَقْلًا كَالنَّوَابِ مَثَلًا، لَكَانَ جَلَّ وَعَزَّ مُفْتَقِرًا إِلَى ذَلِكَ الشَّيْءِ لِتَيَكُّمَلِ بِهِ غَرَضَهُ، إِذْ لَا يَجِبُ فِي حَقِّهِ تَعَالَى إِلَّا مَا هُوَ كَمَالٌ لَهُ، كَيْفَ وَهُوَ جَلَّ وَعَزَّ الْعَنِيُّ كُلُّ مَا سِوَاهُ .

وَأَمَّا افْتِقَارُ كُلِّ مَا عَدَاءُ إِلَيْهِ جَلَّ وَعَزَّ فَهُوَ يُوجِبُ لَهُ تَعَالَى الْحَيَاةَ، وَعُمُومَ الْقُدْرَةِ وَالْإِرَادَةِ وَالْعِلْمَ، إِذْ لَوْ انْتَفَى شَيْءٌ مِنْهَا لَمَا امْكُنَ أَنْ يُوجَدَ شَيْءٌ مِنَ الْحَوَادِثِ فَلَا يَفْتَقِرُ إِلَيْهِ شَيْءٌ، كَيْفَ! وَهُوَ الَّذِي يَفْتَقِرُ إِلَيْهِ كُلُّ مَا سِوَاهُ .

وَيُوجِبُ لَهُ تَعَالَى أَيْضًا: الْوَحْدَانِيَّةَ، إِذْ لَوْ كَانَ مَعَهُ ثَانٍ فِي الْأَلُوْهِيَّةِ لَمَا افْتَقَرَ إِلَيْهِ شَيْءٌ لِلزُّومِ عَجْزِهِمَا جَبِينًا، كَيْفَ! وَهُوَ الَّذِي يَفْتَقِرُ إِلَيْهِ كُلُّ مَا سِوَاهُ .

وَيُؤَخِّدُ مِنْهُ أَيْضًا: حَدُوثُ الْعَالَمِ بِأَسْرِهِ، إِذْ كَانَ شَيْءٌ مِنْهُ قَدِيمًا لَكَانَ ذَلِكَ الشَّيْءُ مُسْتَعْنِيًا عَنْهُ تَعَالَى، كَيْفَ! وَهُوَ الَّذِي يَجِبُ أَنْ يَفْتَقِرُ إِلَيْهِ كُلُّ مَا سِوَاهُ .

وَيُؤَخِّدُ مِنْهُ أَيْضًا: أَنَّهُ لَا تَأْثِيرَ لِشَيْءٍ مِنَ الْكَائِنَاتِ فِي أَثَرِ مَا، وَإِلَّا لَزِمَ أَنْ يَسْتَعْنِيَ ذَلِكَ الْأَثَرُ عَنِ مَوْلَانَا جَلَّ وَعَزَّ، كَيْفَ! وَهُوَ الَّذِي يَفْتَقِرُ إِلَيْهِ كُلُّ مَا سِوَاهُ عُمُومًا .

وَعَلَى كُلِّ حَالٍ، هَذَا إِنْ قَدَّرْتَ أَنْ شَيْئًا مِنَ الْكَائِنَاتِ يُؤَثِّرُ بِطَبْعِهِ، وَأَمَّا إِنْ قَدَّرْتَهُ مُؤَثِّرًا بِقُوَّةِ جَعَلَهَا اللَّهُ فِيهِ كَمْ يَزْعُمُهُ كَثِيرٌ مِنَ الْجَهْلَةِ فَذَلِكَ مُحَالٌ أَيْضًا، لِأَنَّهُ يَصْبِرُ حَبِينًا مَوْلَانَا جَلَّ وَعَزَّ مُفْتَقِرًا فِي إِجْبَادِ بَعْضِ الْأَفْعَالِ إِلَى وَاسِطَةٍ، وَذَلِكَ بَاطِلٌ لِمَا عَرَفْتَ مِنْ وَجُوبِ اسْتِغْنَائِهِ جَلَّ وَعَزَّ عَنِ كُلِّ مَا سِوَاهُ .

فَقَدْ بَانَ لَكَ تَضَمُّنُ قَوْلِ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ لِلْأَقْسَامِ الثَّلَاثَةِ الَّتِي يَجِبُ عَلَى الْمُكَلَّفِ مَعْرِفَتُهَا فِي حَقِّ مَوْلَانَا جَلَّ وَعَزَّ، وَهِيَ: مَا يَجِبُ فِي حَقِّهِ تَعَالَى، وَمَا يَسْتَحِيلُ، وَمَا يَجُوزُ .

وَأَمَّا قَوْلُنَا مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَيَدْخُلُ الْإِيمَانُ الْأَنْبِيَاءَ وَالْمَلَائِكَةَ وَالْكَتُبَ السَّمَاوِيَّةَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ، لِأَنَّهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ جَاءَ بِتَصْدِيقِ جَمِيعِ ذَلِكَ كُلِّهِ .

وَيُؤْخَذُ مِنْهُ: وَجُوبُ صِدْقِ الرَّسْلِ عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ. وَاسْتِحَالَةُ الْكُذِبِ عَلَيْهِمْ، وَإِلَّا لَمْ يَكُونُوا رُسُلًا أَمَنَاءَ لِمَوْلَانَا الْعَالِمِ بِالْخَفِيَّاتِ جَلَّ وَعَزَّ .

وَاسْتِحَالَةُ فِعْلِ الْمُنْهَيَّاتِ كُلِّهَا لِأَنَّهُمْ أُرْسِلُوا لِيُعَلِّمُوا النَّاسَ بِأَقْوَالِهِمْ، وَأَفْعَالِهِمْ وَسُكُوتِهِمْ، فَيُلْزَمُ أَنْ لَا يَكُونَ فِي جَمِيعِهَا مُخَالَفَةٌ لِأَمْرِ مَوْلَانَا جَلَّ وَعَزَّ الَّذِي اخْتَارَهُمْ عَلَى جَمِيعِ خَلْقِهِ وَأَمَنَهُمْ عَلَى سِرِّ وَجْهِهِ .

وَيُؤْخَذُ مِنْهُ: جَوَازُ الْأَعْرَاضِ الْبَشَرِيَّةِ عَلَيْهِمْ، إِذْ ذَلِكَ لَا يَقْدَحُ فِي رِسَالَتِهِمْ، وَعُلُوُّ مَنْزِلَتِهِمْ عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى بَلْ ذَلِكَ مِمَّا يَرِيدُ فِيهَا . فَقَدْ بَانَ لَكَ تَضَمُّنُ كَلِمَتِي الشَّهَادَةِ مَعَ قَلْبِهِ حُرُوفِهَا لِجَمِيعِ مَا يَجِبُ عَلَى الْمُكَلَّفِ مَعْرِفَتُهُ مِنْ عَقَائِدِ الْإِيمَانِ فِي حَقِّهِ تَعَالَى وَفِي حَقِّ رُسُلِهِ عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ .

وَلَعَلَّهَا لِإِخْتِصَارِهَا مَعَ اسْتِمَالِهَا عَلَى مَا ذَكَرْنَا جَعَلَهَا الشَّرْعُ تَرْجَمَةً عَلَى مَا فِي الْقَلْبِ مِنَ الْإِسْلَامِ، وَلَمْ يَقْبَلْ مِنْ أَحَدٍ الْإِيمَانَ إِلَّا بِهَا . فَعَلَى الْعَاقِلِ أَنْ يُكْتَرَّ مِنْ ذِكْرِهَا مُسْتَحْضِرًا لِمَا احْتَوَتْ عَلَيْهِ مِنْ عَقَائِدِ الْإِيمَانِ حَتَّى تَمْتَرَّجَ مَعَ مَعْنَاهَا بِلَحْمِهِ وَدَمِهِ، فَإِنَّهُ يَرَى لَهَا مِنَ الْأَسْرَارِ وَالْعَجَائِبِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى مَا لَا يَدْخُلُ تَحْتَ حَصْرِ، وَبِاللَّهِ التَّوْفِيقُ لَا رَبَّ غَيْرُهُ، وَلَا مَعْبُودَ سِوَاهُ.

نَسْأَلُهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَنْ يَجْعَلَنَا وَأَحِبَّتَنَا عِنْدَ الْمَوْتِ نَاطِقِينَ بِكَلِمَةِ الشَّهَادَةِ عَالِمِينَ بِهَا .

وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ، كُلَّمَا ذَكَرَهُ الذَّاكِرُونَ، وَعَفَلَ عَنِ ذِكْرِهِ الْغَافِلُونَ .

وَرَضِيَ اللَّهُ عَنِ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ أَجْمَعِينَ وَالتَّابِعِينَ لَهُمْ بِإِحْسَانٍ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ .

وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ .

وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ .

تم متن السنوسية في علم التوحيد

(منقول عن منتدى الاصلين)